Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرثاء :

وكان ابن الرومى يجيد فن الرثاء ، بحكم قدرته على التعبير عن الأحاسيس والمشاعر ، وإنه كان يستشعر فى أعماقه حزناً ممضاً ، لأنه لا يأخذ حقوقه فى عصره بالقياس إلى غيره من الشعراء الذين يتفوق عليهم تفوقاً واضحاً ، فكان شعوره بالبؤس والحرمان يضاعف حزنه ، وكأنما الحياة كلها أمامه كانت أحزاناً ومآتم ، وتصادف أن مات له ثلاثة أبناء ، فبكاهم بكاء حاراً ، فها هو ذا يرثى ابنه الأوسط وقد مات منزوفاً وهو لم يزل فى المهد صبياً ، وأحسّ كأن القدر اختطف منه فلذة كبيرة من كبده ، فامتلأت نفسه حزناً وشقاء ، وقعهما على قيثارته ودموعه تنحدر على خديه ، وإنه ليخاطب عينيه أن ترسل الدموع غزيرة ، علها تنفس عنه شيئاً من محنته فى ابنه ، يقول :

بكاؤكما يَشْفِى وإن كان لا يُجْدِى ... فَجُودا فقد أَوْدَى نَظِيرُكُما عِنْدِى
أَرَيْحَانَةَ العَيْنَين والأَنْفِ والحَشَا ... أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تغيَّرْتَ عن عهدى
كأَنَى ما اسْتَمْتَعْتُ منك بضَمَّةٍ ... ولا شَمَّةٍ فى مَلْعبٍ لك أو مَهْد
وأَنتَ وإن أَفْرِدْتَ فى دار وَحْشَةٍ ... فإنى بدار الأُنْسِ فى وحْشة الفَرْدِ[100]

والقصيدة جميعها على هذا النمط من التحسّر الممض واللوعة المحرقة ، حتى لكأنما أصبحت الدنيا كلها فى عين ابن الرومى قبراً موحشاً كبيراً ، قبراً يصبُّ عليه حزناً ثقيلا . ومن قوله فى رثاء ابنه الثالث :

أُبُنَىَّ إنك والعزاءَ معاً ... بالأمس لُفَّ عليكما كَفَنُ
ما فى النهار - وقد فقدتك - مِنْ ... أُنس ولا فى الليل لى سَكَن
ما أصبحتْ دنياىَ لى وطناً ... بل حيث دارُكَ عندىَ الوطن[101]

وله مرثية فى أمه وأخرى فى أخيه محمد ، وبجانب ذلك نجد له عزاء من حين إلى حين ، من ذلك عزاؤه للمسيبى الكاتب صديقه يعزيه عن ابنته بأن أحداً لن يخلد فى الدنيا ، وأن تلك إرادة الله ولاراد لمشيئته ، يقول :

---

(١٠٠) ديوان ابن الرومى ٢ : ٦٢٤ وما بعدها .
(١٠١) المصدر نفسه ٦ : ٢٥١٥ .